الفصل الثامـــن

لابد من حسم الأمر، هل أخوض في موضوع الضباط الأحرار، وكيف أخوض فيه؟ المؤكد أن حريق السادس والعشرين من يناير عام ١٩٥٢ مكّن الضباط من القيام بثورتهم، يسر لحركتهم أن تتم دون أن يدفع البريطانيون بدباباتهم وجنودهم وسلاحهم المكدَّس على طول خط القنال إلى القاهرة لاحتلالها. أن يمسك الضباط بزمام البلد، وإن كانوا وطنيين، خير من أن تصبح بلا زمام، وفي أيدي «الغوغاء»، لم يكن ذلك موقف بريطانيا وحدها بل قوى مختلفة ذات مصلحة في الداخل والخارج. بدا ممكنا التعامل مع الضباط، بدا أن الأمور تسير بشكل معقول طوال ثلاث سنوات، بدت الخارجية البريطانية مغتبطة بحكمة اختيارها لأهون الشرَّين، وبدت أمريكا مطمئنة وقادرة على التواصل مع الضباط الصغار. ثم فاجأهم الكولونيل المنتخب بشراء سلاح تشيكي، ثم بتأميم القنال فبدأت حرب كان مقدرا لها أن تبدأ قبل ثلاث سنوات، واستمرت حتى موت الرجل، إذ واصل عبد الناصر مفاجآته الصادمة، ينقض الخرائط ويخل بالنظام ويهدم ما بنوا وأبرموا منذ عشرات السنين.

لن أضمِّن ذلك كتابي، يمكن للقارئ العودة إلى كتب التاريخ، سأحكي عن الأيام الأربعة التي شاركت فيها وكنت شاهدا على تفاصيلها: